

طرفة بن العبد

نحو تصحيح الإطار الزمني لحياة الشعراء الجاهليين*

الدكتور عرسان حسين الراميني

قسم اللغة العربية - جامعة اليرموك

تشير المصادر إلى وفاة طرفة بن العبد البكري عادة في سياق القصة المشهورة الخاصة بما يسمى "صحيفة المتملس". وتتخلص هذه القصة في أن ملك الحيرة عمرو بن المنذر الثالث بن ماء السماء، المعروف لدى المؤرخين بعمرو بن هند، أرسل مع طرفة والمتملس كتابين إلى عامله على البحرين يأمره بقتلهما. فكان أن فتح المتملس كتابه فعلم ما فيه ونجا، بينما لم يفعل ذلك طرفة فانتهى به الأمر إلى القتل وهو شاب في العشرينات من عمره^(١).

* أشكر الأستاذ الدكتور عفيف عبدالرحمن علي تطفه بقراءة مسودة البحث.

(١) ترد القصة في مصادر عديدة، حول أكثر الروايات تفصيلاً، انظر: الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٦٥هـ): (كتاب الأغاني)، طبعة دار الثقافة، ج ٢٤، صص ٥٣٩-٥٠٠، البغدادي (عبد القادر بن عمر ١٠٣٠-١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٧، ج ٢، صص ٤١٥-٤٢٤؛ ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء Leiden 1902 صص ٨٥-٩١، وانظر أيضاً: الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ت ٥١٨)، مجمع الأمثال تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ١٩٨٧، رقم ٢١١٣ (صص ٢٢٤-٢٢٨)؛ أبو البقاء هبة الله الحلبي، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، عمان ١٩٨٤، ج ١، صص ١٣١-١٤١ (وفيه أن كتاب طرفة كان إلى الربيع بن حوثة العبدي عامل عمرو بن هند على البحرين، بينما كان كتاب المتملس إلى المكعبير أحد مرازبة الفرس)؛ المرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة ١٩٦٠، صص ٥-٦؛ المرتضى (علي بن الحسين الموسوي ت ٤٣٦هـ)، غرر الفوائد ودرر القلائد (الأمالى)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤، ج ١، صص ١٨٣-٥؛ ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد ابن محمد ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨-٧٢، ج ٦، صص ٢٩-٣.

لقد شك الدارسون المعاصرون في صحة كثير من تفاصيل قصة "صحيفة المتلمس"^(٢)، لكنهم في الوقت نفسه قبلوا المعطيات الأساسية السابقة من غير مناقشة. ومن أهم هذه المعطيات الادعاء بأن المسؤول عن مقتل طرفة هو ابن المنذر الثالث، عمرو بن هند، الذي تولى حكم الحيرة ما بين سنتي ٥٥٤ و ٥٦٩م. وبناء على ذلك، أجمع الدارسون عموماً على أن طرفة عاش في الفترة الوسيطة من القرن السادس للميلاد، مع اختلافات طفيفة بينهم في تقدير السنة التقريبية لمقتله في تلك الفترة. إن هذا يوضحه الهاشمي حين يقول "غير أن بعض الباحثين المحدثين حاول تحديد سنة ولادته ووفاته بالأرقام. فقد ذهب كل من فون غرونباوم والزركلي إلى أنه عاش بين ٥٣٨-٥٦٤م على وجه التقريب"^(٣). وذهب كل من فؤاد أفرام البستاني وحنا الفاخوري إلى أن حياته كانت على وجه التقريب أيضاً بين ٥٤٣-٥٦٩. وقال مصطفى صادق الرافعي في تحديد سنة وفاته "ويقال إن مقتله كان بعد سنة ٥٥٢ بعد الميلاد وقبل سنة ٥٦٤" وهذا ما رجحه الدكتور بدوي طيانة منكرأ على الرافعي رقمه الأول. أما جرجي زيدان فذهب إلى أن وفاة طرفة كانت سنة ٥٠٠م، وذهب شيخو إلى أن وفاته سنة ٥٦٤، وانفرد عمر فروخ بتحديد سنة وفاته بنحو ٥٦٠. ويتابع الهاشمي فيقول "ونحن إذا نظرنا في هذه الأرقام.... ترجح لدينا أن أقربها إلى

(٢) لاحظ هذه الشكوك في: علي الجندي، الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد - تحقيق ودراسة لشعره وشخصيته، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٥؛ وانظر أيضاً حسن جعفر نور الدين، طرفة بن العبد: سيرته وشعره، بيروت ١٩٩٠، ص ٣٥ من الطريف أن عمر فروخ يشير في الحاشية، إلى الرواية الشائعة عن مقتل طرفة واصفاً إياها بأنها مصنوعة، بينما في المتن يذكر من غير الإشارة إلى مصدره أن طرفة قتل مع عمرو بن مامة (أمامة)، أخي عمرو بن هند أثناء رحلة تجارة لهما إلى اليمن" (تاريخ الأدب العربي، بيروت ١٩٨٥، ص ١٢٦). إن الرواية السائدة الخاصة برحلته مع عمرو بن أمامة إلى اليمن لا يفهم منها ذلك، ثم إن شعره يدل على أنه عاد من تلك الرحلة سالماً (انظر ديوان طرفة بن العبد تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، دمشق ١٩٧٥، رقم ٤١).

(٣) يبدو أن الهاشمي أساء اقتباس جرونباوم هنا، إذ في الحقيقة يرى هذا الأخير أن التاريخ التقريبي لولادة طرفة ووفاته هو سنتا ٥٣٥، ٥٦٨م على التوالي

Gustave E. von Grunebaum, *Themes in Medieval Arabic Literature*, London

1981 (collected studies), Article iii, p.126.

الصواب في تاريخ ميلاده ما ذهب إليه كل من الزركلي وفون غرونباوم، أي نحو سنة ٥٣٨م. أما سنة مقتله فأرجح أنها كانت نحو سنة ٥٦٧م، وذلك أن طرفة غادر حيه مطوفاً في الآفاق...»^(٤).

في مقابل ذلك كله، تحتوي بعض المصادر على روايات تخالف ما استقر في الأذهان من أن طرفة ينتمي إلى عهد عمرو بن المنذر الثالث، لكنها حتى الآن لم تلق اهتماماً كافياً في الدراسات المعاصرة^(٥). هذه الروايات تعود بالشاعر، بدلاً من ذلك، إلى فترة آخر الملوك اللخمييين، النعمان بن المنذر، الذي حكم الحيرة خلال العقدين الأخيرين من القرن السادس للميلاد (٥٨٠/٥٨٢-٦٠٢/٦٠٤). ففي؛ "نشوة الطرب"، يخبرنا ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) أن طرفة "كان ينادم النعمان بن المنذر" وأن هذا الأخير حنق عليه بسبب شعر هجاه

(٤) محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد: حياته وشعره، بيروت ١٩٨٠، صص ٣٩-٤٠. بالإضافة إلى الدارسين الذين يذكروهم الهاشمي هنا، انظر أيضاً، فيم يتعلق بالرأي التقليدي في طرفة: علي الجندي، طرفة، ص ١٠؛ حسن نور الدين، طرفة، Nicholson R.A., A Literary history of the Arabs, Cambridge, 1962 (first edn. 1906), pp. 107-14 ناصر الدين الأسد، "مقدمة لدراسة القبائل العربية في الخليج قبل الإسلام: هجراتها وعلاقتها بالقبائل الأخرى بالجزيرة العربية"، دراسات عربية وإسلامية (مهداة إلى إحسان عباس بمناسبة بلوغه الستين)، تحرير واد القاضي، بيروت ١٩٨١، ص ٤٧؛ Abdulla El-Tayibi, "Pre-Islamic Poetry". *The Cambridge history of Arabic literature*, London 1983 pp. 76-8 و صدر الإسلام، القاهرة ١٩٨٤، صص ٨١-؛ عمر شرف الدين، الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة، القاهرة ١٩٨٧، صص ٥٥-٦٤؛ عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، القاهرة ١٩٨٨، ص ٢٥٢؛ محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الجاهلي: نصوص ودراسة، بيروت ١٩٩١، ص ١١٤.

(٥) فقط الهاشمي يذكر رواية الشريف المرتضى المشار إليها لاحقاً (حاشية ٧) ثم يرفضها بشدة على أساس أن "أبا منذر" في هذا الشعر ليس بالضرورة أن يكون النعمان، وأيضاً على أساس أن اسم عمرو بن هند يتكرر في شعر لطرفة هو أثبت من الشعر الذي يذكره المرتضى وأنه من الثابت أن عمرو بن هند تولى الحكم قبل النعمان وأن طرفة مات في عهده (طرفة ص ٦٤).

فيه "فكتب له وللمتمس لعامله على البحرين بأن يقتلها".^(٦) وبعد أن يذكر ابن سعيد هذا الخبر، يشير إلى الرواية القائلة إن الذي أمر بقتل طرفة هو عمرو بن هند "وقد قيل إن عمرو بن هند هو الذي أمر بقتله".

هذه الإشارة إلى الاختلاف فيمن أمر بقتل طرفة وردت قبل ذلك في كتاب "الغرر والدرر" للشريف المرتضى (٤٣٦ هـ)، وفيه يؤيد الشريف الرأي القائل بأن المسؤول عن قتل طرفة هو النعمان بن المنذر^(٧)، وهو بذلك يتفق مع ابن سعيد الأندلسي، الذي يعرض الخبر بطريق نفهم منها أنه يميل هو الآخر إلى هذا الرأي. وتلك الإشارة نفسها نصادفها كذلك في كتاب أقدم هو "جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري (٣٨٢ هـ)، لكن من غير ترجيح مباشر لواحدة من الروايتين على الأخرى^(٨). بالإضافة إلى ذلك، يضمن خبر الصحيفة، كما ورد في رواية أبي عبيد، إشارة واضحة إلى أن هذه الحادثة وقعت في عهد النعمان بن المنذر "ما بلغ النعمان بن المنذر لحوق المتمس بالشام، وكانت غسان قتلت أباه يوم عين أباغ، شق عليه لحوقه بغسان وحلف ألا يدخل العراق ولا يطعم بها

(٦) ابن سعيد الأندلسي (علي بن موسى بن محمد ت ٦٨٥)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبدالرحمن، عمان ١٩٨٢، صص ٦٢١-٢. من المحتمل جداً أن تكون القصة نفسها مصنوعة لكن فكرة علاقة طرفة ببلاد النعمان هي المهمة هنا.
(٧) ويقال إن صاحب المتمس وطرفة في هذه القصة هو النعمان بن المنذر، وذلك أشبه بقول طرفة:

أبا منذر كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر، وكان النعمان بعد عمرو بن هند، وقد مدح طرفة النعمان، فلا يجوز أن يكون عمرو قتله، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان (ج ١، ص ١٨٥). أيضاً يورد الميداني البيت الثاني ويقول في التقديم له: "هذا من قول طرفة بن العبد حين أمر النعمان بقتله (مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٦٤).
(٨) الحسن بن عبدالله بن سهل، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، القاهرة ١٩٦٤، رقم ١٠٨٦.

حتى يموت^(٩). ومن الجدير بالملاحظة أن أبا العلاء المعري انتبه إلى انقسام الناس إلى فريقين حول من المسؤول عن مقتل طرفة، لكنه لم يحاول تأييد فريق على آخر^(١٠). هذا الرأي الآخر في المصادر، وهو أن طرفة قُتل في عهد النعمان بن المنذر وليس في عهد عمرو بن هند، يوجد عليه دليل مباشر في شعر طرفة نفسه، وإن تجاهلت الدراسات المعاصرة عموماً هذه الحقيقة، ربما على أساس أن شعره الذي يمثل ذلك ليس من مرويات الأصمعي، الإخباري الأكثر احتراساً: ففي قصيدة له رائية يذكر طرفة النعمان حانقاً عليه بسبب مواعيد الكاذبة^(١١)؛ وفي قصيدة ضادية تعد من مشاهير شعره، ينتقده بشدة بسبب حرب إبادة يسعها ضد ضبيعة، عشيرة الشاعر، بالتعاون مع الجماعات الموالية للحيرة بالبحرين^(١٢)؛ وأخيراً، يذكره في قصيدة يائية مشيراً مرة أخرى إلى

(٩) الأغاني، ثقافة، ج ٣، ص ٥٤٩. ومع ذلك يقول أبو عبيدة في رواية أخرى مسندة إليه "لما لحق المتلمس بالشام هارباً من عمرو بن هند" (المصدر نفسه، ص ٥٥٤).
 (١٠) (رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمن، القاهرة ١٩٧٧، ص ٣٣٨) اقتبسها جواد علي (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٩٦٩، ج ١، ص ٢٤٦) واقتبسها أيضاً الهاشمي (طرفة، ص ٦٣)، لكن من غير تعليق.
 (١١)

فدعها وانحل النعمان قـولاً كتحت الفأس ينجـد أو يغـور

(ديوان طرفة، قصيدة ٣٨، بيت ٥)

(١٢)

الأبلىغا بكر العراق بن وائل بكأس سقى النصرى شاربها رمض
 فإن يقتل النعمان قومي فإنما هي الميتة الأولى وتقدمة القبض
 فميلوا على النعمان في الحرب ميلاً وكعب بن زيد فاشغلوه عن المحض

(السابق، قصيدة ٥٦، أبيات: ٣٨-٤٠). لاحظ ما جاء في تحقيق البيت الأول "يقصد بالنصرى" في هذا البيت، و"النعمان" في البيتين ٣٩، ٤٠ الأبيتين: عمرو بن هند" (ديوان طرفة بن العبد: تحقيق وتحليل ونقد، القاهرة ١٩٥٨، البيتان: ٦١٦، ٦١٧). وهذا أيضاً ما يقوله عمر شرف الدين دون الإشارة إلى الجندي (المتجرده، ص ٥٩، الحاشية).

سياسة التعسف التي يتبعها ضد قومه^(١٣). طبعاً، من ناحية نظرية، تعد رواية الأصمعي للشعر القديم أكثر دقة من غيرها، لكن يبقى تصحيح الشعر الجاهلي أمراً نسبياً عموماً. فالأشعار المروية عن غير طريق الأصمعي وسواء من ثقافات المشتغلين بجمع الشعر الجاهلي تظل أشعاراً مقبولة ما لم يقم الدليل على بطلانها سواء كان هذا الدليل من داخل القصيدة أو خارجها. كذلك المرويات التي استقبلها الناس باحترام شديد منذ عصر التدوين حتى الآن، لا يدعي لها أحد مطلق الصحة. ومهما يكن من أمر، فإن قصائد طرفة أنفة الذكر لم توجه إليها قديماً اتهامات بالزيف، وكذلك لم يشك فيها أحد من محققي شعره، على الرغم من أن هؤلاء لم يحاولوا التوفيق بين الرأي الشائع حول مقتله من ناحية، وبين ذكر النعمان بن المنذر في شعره من ناحية أخرى. فقط درية الخطيب ولطفي الصقال أشارا في معرض شرحهما على أحد الأبيات التي ذكر فيها النعمان إلى أن هذا الأخير هو عمرو بن هند^(١٤)، ثم أكدا الشيء نفسه في فهرس الأعلام الملحق بالديوان، وذلك كما يفهم من قولهما "عمرو بن هند = النعمان بن المنذر = النصري = أبو منذر". لكنهما، في المقابل، لم يبينا للقارئ كيف حدث أن عمرو بن هند والنعمان بن المنذر شيء واحد.

طبعاً عمرو بن هند هو الآخر ورد ذكره في شعر طرفة، وبالتحديد في خمس قصائد منسوبة إلى الشاعر، واحدة منها فقط رواها الأصمعي، وهي قصيدة رائية تقع في ثمانية أبيات^(١٥)؛ ولكن من الطريف أن مروية الأصمعي

(١٣)

خرجنا وداعي الموت فينا يقودنا وكان لنا النعمان بالسيف حاديا

(السابق، قصيدة ٩١، بيت ٣).

(١٤) انظر حاشية ١٢.

(١٥) وهي القصيدة رقم ٩ في الديوان. أرقام القصائد وأرقام الأبيات الخاصة بالمواطن الأربعة الباقية هي على التوالي: ٢:٣٣، ١:٤١، ٥:٥٠، ١:٦٦.

هذه جاءت في رواية ابن السكيت مكونة من ثلاثة وعشرين بيتاً^(١٦)، أي بزيادة خمسة عشر بيتاً تُولف هي نفسها القصيدة الرائية رقم ٣٨ في طبعة مجمع دمشق، حيث واحد من المواطن الثلاثة التي ذكر فيها النعمان، أي أن عمرو بن هند والنعمان بن المنذر ذكرا معاً في قصيدة واحدة في رواية ابن السكيت؛ وإذا ما صح أن كنية؛ "أبو منذر" في شعر طرفة هي لعمرو بن هند، وهو الحاصل فعلاً كما يبدو^(١٧)، فإن القصيدة الضادية رقم ٥٦ في طبعة مجمع دمشق تمثل نموذجاً آخر يظهر فيه ذكر الشخصيتين معاً في موطن واحد. إن ما يمكن استفادته هنا هو أن بعض القدماء لم يجدوا حرجاً في نسبة شعر إلى طرفة يذكر فيه النعمان بن المنذر إلى جانب عمرو بن هند.

إذا كان عمرو بن هند هذا الذي يرد ذكره في شعر طرفة هو نفسه عمرو بن المنذر الثالث كما يعتقد عموماً، فإنه حتماً لا سبيل إلى التوفيق بين الروايتين المتضاربتين أعلاه، وبالتالي ينبغي أن نلقي جانباً كل ما يتعلق بالنعمان في شعر طرفة أو أن نقول مع طبعة مجمع دمشق إن النعمان بن المنذر هو عمرو بن هند وإن عمرو بن هند هو النعمان بن المنذر. لكن المصادر، لحسن الحظ تتيح لنا مخرجاً واسعاً من هذا المأزق. فالخطيب البغدادي (١٠٩٣هـ) في خبره؛ "الصحيفة" في سياق تعليقه على الشاهد رقم ١٥٢ وفي نهاية الخبر يسجل ملاحظة مهمة فيقول "وعمر بن هند المذكور هنا هو من ملوك الحيرة، كان عاتياً جباراً ويسمى محرقاً أيضاً، لأنه حرق بني تميم، وقيل بل حرق نخل اليمامة. والنعمان بن المنذر صاحب النابغة أخو عمرو بن هند، وسيأتي إن شاء

(١٦) انظر (ديوان طرفة)، ص ١٥٢، حاشية ٤؛ قارن ما جاء في مقدمة التحقيق عن نسخة قازان (ص:ك).

(١٧) من المستبعد أن تكون هذه الكنية للنعمان بن المنذر، على النقيض مما يرى المرتضى والميداني؛ (انظر حاشية ٧)، إذ من المعروف على نطاق واسع في المصادر أن كنية النعمان هي "أبو قابوس" Rothstein, G. *Die Dynastie der Lahlmiden in al-Hira*, Berlin 1899, p 107؛ ابن منظور (جمال الدين أبو الفل محمد بن مكرم ت ٧١١)، لسان العرب، مادة: قبس). أضف إلى ذلك أنه في مقابل كنية؛ "أبو قابوس"، التي ترد كثيراً في الشعر الجاهلي في سياق مخاطبة النعمان أو الحديث عنه، فإن كنية "أبو منذر" لم تستعمل لذلك قط، في حدود معرفتي.

الله تعالى نسب عمرو بن المنذر في نسب أخيه النعمان بن المنذر فسي الشاهد الثالث بعد هذا^(١٨). وفي تعليقه على هذا الشاهد الثالث، وهو الشاهد رقم ١٥٥، يتتبع البغدادي تعاقب ملوك آل نصر على حكم الحيرة نقلاً عن كتاب العمدة لابن رشيقي (ت ٤٦٣ هـ)، ويقول في معرض ذلك مقتبساً هذا الأخير؛ "ثم عمرو بن المنذر بن المنذر وهو عمرو بن هند ملك بعد المنذر بن المنذر وقبل النعمان بن المنذر صاحب النابغة وهو آخر ملوك لخم"^(١٩).

إن ما يذكره البغدادي في هذا الصدد أمكن تتبعه في مصادر أقدم من "العمدة": فالقائمة بأسماء ملوك الحيرة وفق التسلسل الذي يراه ابن رشيقي موجودة في معارف ابن قتيبة^(٢٠) المتوفى سنة ٢٧٦ هـ؛ أيضاً يروي المبرد (٢٨٦ هـ) خبر وفاة علي عمرو بن هند قام بها أوس بن حارثة بن أم وحاتم الطائي، ويعرف المبرد خلال ذلك بعمرو بن هند قائلاً إنه ابن المنذر بن المنذر بن ماء السماء^(٢١)؛ كذلك في سياق شرحه على البيت الستين من معلقة الحارث بن حلزة اليشكري، يخبرنا أبو جعفر النحاس "أن عمرو بن هند لما قتل أبوه وجه أخاه

(١٨) خزنة الأدب، ج ٢ ص ٤٢٥. تعليق المحقق على معلومة البغدادي محاولة غير ضرورية للدفاع عن الرأي التقليدي؛ إن وقوع تصحيف في العبارة هنا أمر يصعب تصوره، أولاً لوضوح السياق، وثانياً لورود هذه المعلومة في أشكال مختلفة في غير موطن في الخزنة (انظر، بالإضافة إلى ما سبق: ج ٢، ص ٤٥١؛ عمرو بن المنذر بن المنذر وهو عمرو بن هند؛ ج ٤، ص ٤٤٢؛ عمرو بن هند وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء؛ ج ٨، ص ٤٩٤؛ ج ٩، ص ٤٠١؛ ج ١١، ص ٢٦٩).

(١٩) ج ٢، ص ٤٥١. نص ابن رشيقي يجري كالتالي: ثم المنذر بن المنذر، وهو الأصغر، ثم أخوه عمرو بن المنذر، وهو عمرو بن هند، ويسمى محرقاً لأنه حرق بني تميم، وقيسل: بل حرق نخل اليمامة، ثم النعمان بن المنذر صاحب النابغة (الحسن بن رشيقي القيرواني ٤٦٣ هـ، العمدة، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٧٢، ج ٢، ص ٢٢٩).

(٢٠) تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٩، صص ٦٤٥-٩. من جانبه يقدم اليعقوبي رواية شاذة يظهر فيها ابنان للمنذر الثالث، كل منهما اسمه عمرو، والثاني هو صاحب لقب "ابن هند"، وقد خلفا أباهما الواحد بعد الآخر (اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ت ٢٩٢ هـ)، تاريخ، بيروت، ص ٢١٠).

(٢١) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٦ هـ، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، القاهرة، ج ١، صص ٢٣١-٢. ٩٢

النعمان وحشد معه من قدر عليه من أهل مملكته وأمره أن يقاتل بني غسان ومن خالفه من بني تغلب" (٢٢). إن ما يرويه ابن النحاس هنا يتفق، كما هو واضح، مع قائمة ابن قتيبة التي تجعل ملك عمرو بن هند بعد ملك المنذر بن المنذر وقبل ملك النعمان.

على أن أقدم مصدر بين أيدينا نستفيد منه، في الأقل، أن شخصية لخمية تعرف بعمر بن عمرو بن هند [كانت معاصرة للنعمان بن المنذر هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ]. ففي حديثه عن العداوة بين قبيلتي بكر وتغلب، يخبرنا أبو الفرج، بإسناد إلى ابن الكلبي، أن كلاً من هاتين القبيلتين أودعت رهناً لدى ملك الحيرة ضماناً لالتزامهما بشروط الصلح الذي عقده هذا الأخير بينهما فلبثوا كذلك إلى ما شاء الله، ثم يتابع أبو الفرج فيقول (بالإسناد نفسه) "فسرح النعمان بن المنذر ركياً من بني تغلب إلى جبل طيب في أمر من أموره فنزلوا بالطرفة، وهي لبني شيبان وتيم اللات، فذكروا أنهم أجلوهم عن الماء وحملوهم على المفازة فمات القوم عطشاً. فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدوه على بكر وقالوا غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء." (٢٣)

نظرياً، يمكن أن يفسر هذا الخبر، الذي ينقله ابن الكلبي عن أبيه، بطريق تتفق مع رواية أبي جعفر النحاس، التي بدورها تتفق مع تسلسل ملوك الحيرة في قائمة ابن قتيبة، أي أن عمرو بن هند كان ملك الحيرة آنذاك بينما كان النعمان بن المنذر في خدمته، وليس العكس. لكن عملياً، هذا التفسير لا يصح، لأنه ببساطة يتعارض مع رأي ابن الكلبي نفسه في تسلسل ملوك الحيرة. فعمرو بن

(٢٢) أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ت ٣٣٨ هـ، شرح القوائد التسع المشهورات، تحقيق أحمد خطاب، بغداد ١٩٧٣، ص ٥٩٤. والرواية نفسها يوردها التبريزي أبو زكريا يحيى ابن علي بن محمد ٥٠٢ هـ، شرح القوائد العشر، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت ١٩٨٠، ص ٤٠١.

(٢٣) أغاني (دار الكتب، القاهرة ١٩٢٧-١٩٧٤) ج ١١، ص ٤٤ (ستكون الإشارة من الآن فصاعداً إلى هذه الطبعة إلا إذا نص على غير ذلك).

هند، في روايته، هو عمرو بن المنذر الثالث بن ماء السماء ويضعه مباشرة بعد أبيه المنذر، ثم يضع بعده أخاه قابوساً، ثم أخاه المنذر بن المنذر، ثم ابن هذا الأخير النعمان بن المنذر بن المنذر^(٢٤). طبعاً، لن نخوض في تفاصيل الخلاف الشديد في المصادر حول تسلسل ملوك الحيرة وسني حكم كل منهم، فهذه القضية، وبخاصة بالنسبة إلى المنذر الثالث وخلفائه، قد حسمت منذ فترة طويلة نسبياً، والفضل في ذلك يعود لسدني سميث في مقاله عن أحداث الجزيرة العربية في القرن السادس للميلاد^(٢٥)، وقد جاءت نتائجها، وهي مبنية على استشارة مصادر متنوعة، عربية وغير عربية ونقوش، تؤكد الهيكل العام لرواية ابن الكلبي عن ملوك الحيرة.^(٢٦)

من الواضح، إذن، أن بعض الإخباريين كان لديهم معلومات تشير إلى وجود أخ للنعمان بن المنذر يقال له عمرو بن هند وإلى أن عمراً هذا كان يتمتع بسلطة كبيرة في الحيرة ويقود الجيوش وينعم بلقب "ملك" تبعاً للعرف السائد آنذاك، وهو استعمال هذا اللقب أيضاً في مخاطبة أبناء الملك الفعلي وإخوته؛ ويبدو أن هذا الوضع دفع أناساً منهم إلى الاعتقاد بأن هذا الأمير اللخمي حكم الحيرة فترة من الزمن، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون موقعه بين ملوك الحيرة إلا بعد أبيه المنذر بن المنذر وقبل أخيه النعمان، فوضعوه هناك في

(٢٤) انظر قائمة ابن الكلبي بأسماء ملوك الحيرة وسني حكمهم في جواد علي: المفصل، ج ٣، صص ٣٠٦-٨. ومن الجدير ملاحظة أن قائمة ابن الكلبي، خاصة في الجزء الخاص بالمنذر الثالث وخلفائه، تتفق مع قائمتي ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب، (المحبر، تحقيق Lichtestaedter، 1، بيروت ١٩٦٢ ص ٣٥٨) وحمزة الأصفهاني (أبو عبد الله بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، بيروت، صص ٨٣-٧).

(٢٥) Smith, S., "Events in Arabia in the sixth century A.D.", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 26(1954).

(٢٦) إن هذا التفسير لرواية ابن الكلبي يجد أيضاً ما يؤيده في رواية ينقلها الميداني، تجسري كالتالي: كان مخالس بن مزاحم الكلبي وقاصر بن سلمة الجذامي بباب النعمان بن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصر إلى ابن فرتي، وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر، وقال... (مجمع الأمثال)، ج ١، صص ٣٦٩-٧٠. يقتبسها أحمد زكي صفوت (جمهرة خطب العرب، القاهرة ١٩٦٢، ج ١، ص ٦٥).

قوائمه؛ لكن هذا الاعتقاد لم يعد له قيمة منذ أن أصبح من الثابت أن النعمان بن المنذر هو الذي خلف أباه على عرش الحيرة. إن عمرو بن هند في رواية ابن الكلبي أنفة الذكر ينبغي إذن أن يكون أميراً لخمياً مكلفاً بالإشراف على القبائل وإدارة شؤون الحرب في مملكة الحيرة في عهد أخيه النعمان بن المنذر^(٢٧).

هذه النتيجة يمكن تعزيزها بإشارة نادرة يوردها أبو الفرج الأصفهاني في سياق ترجمته للشاعر المنخل اليشكري. ففي حديثه عن سبب قتل المنخل^(٢٨) يقول أبو الفرج في رواية مسندة إلى أبي عمرو الشيباني^(٢٩). "إن المتجردة - واسمها ماوية، وقيل: هند بنت الأسود بن المنذر الكلبية - كانت عند ابن عم لها يقال له حلم، وهو الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبى، وكانت أجمل أهل زمانها. فرأها المنذر بن المنذر الملك اللخمي فعشقتها. فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حلم وامراته المتجردة، فقال المنذر لحلم: إنه لا يليق بالرجل أن يقيم على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسه شعرة بيضاء إلا عرفتها، فهل لك أن تطلق امرأتك المتجردة وأطلق امرأتي سلمى قال: نعم. فأخذ كل واحد منهما على صاحبه عهداً. قال فطلق المنذر امرأته سلمى وطلق حلم امرأته المتجردة، فتروجها المنذر، ولم يطلق سلمى أن تتزوج حلماً وحجبها، وهي أم ابنه النعمان بن المنذر، فقال النابغة يذكر ذلك:

(٢٧) ومع ذلك، انظر، حاشية ٣١.

(٢٨) المنخل يمثل حالة مشابهة لحالة طرفة من حيث اختلاف الإخباريين فيمن قتله أهو عمرو بن هند أم النعمان بن المنذر، والفرق بينهما، بالإضافة إلى دواعي القتل. إن الروايتين المتناقضتين هما، بالنسبة إلى المنخل، على درجة واحدة من الشيوع تقريباً. إن الدارسين المعاصرين يميلون في العادة إلى رفض رواية مقتل المنخل على يد عمرو بن هند، وذلك بسبب شهرة حبه للمتجردة امرأة النعمان (انظر عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي)، ج ١، صص ١٦٨-٩؛ أحمد الربيعي، المتجردة، بغداد ١٩٧٨، صص ٣٢-٤١، ٣٦).

(٢٩) أغاني، ج ٢١ (تحقيق العزباوي بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم) صص ٢٠١. هذه الرواية المذكورة في أكثر من مصدر، مع اختلافات طفيفة (انظر الربيعي، المتجردة)، لكن في رواية أبي البقاء أن قصة حلم/جلم هي مع النعمان وليس مع أبيه، المنذر (المناقب، ج ١، ١٤٧ - ٨). لا يذكر الربيعي رواية أبي البقاء.

قد خادعوا حلماً عن حرة خرد حتى تبطنها الخداع ذو الحلم^(٣٠)

قال ثم مات المنذر بن المنذر، فتزوجها بعده النعمان بن المنذر، ابنه".
وهكذا تجعل المصادر من المحتمل أن يكون للمنذر الرابع زوجة اسمها هند،
وبالتالي، أن يكون ابنه عمرو منسوباً لهند تلك^(٣١).

حتى الآن لا تعني هذه النتيجة فيما يتعلق بهوية عمرو بن هند سوى أنه
كان هناك أميران لخميان، كل واحد منهما، كما يفهم الإخباريون، يحمل هذا
الاسم، الأول عمرو بن المنذر الثالث، الذي حكم الحيرة في أواسط القرن السادس
للميلاد، والثاني عمرو بن المنذر الرابع، وكان متنفذاً جداً في عهد أخيه النعمان
في أواخر ذلك القرن؛ فأبي منهما هو صاحب طرفة؟ إذا لم نشأ إثارة شك حول
صحة الأبيات التي ورد فيها ذكر النعمان في الشعر المنسوب إلى طرفة، فإن
الإجابة عن هذا السؤال جاهزة على الفور؛ لكن ما دام دارسو حياته ومحققو
ديوانه قد غضوا الطرف عموماً عن ورود اسم النعمان في شعره، وبذلك عبروا
ضمنياً عن شكهم في صحة الأبيات ذات العلاقة، فإنه ينبغي أن تقدم أدلة أخرى
تثبت أن عمرو بن هند الذي يذكره طرفة إنما هو عمرو بن المنذر الرابع أخو
النعمان. هذه الأدلة تتمثل إجمالاً في عدد من الحقائق تشير مجتمعة إلى أن طرفة
كان، في الواقع، نشطاً في أواخر القرن السادس للميلاد، وليس في أواسطه، وإذا
كان عمرو بن هند هو المسؤول عن قتله فلا بد أن يكون عمرو هذا هو ابن

(٣٠) في ديوان النابغة: وقال النابغة في زوج المتجردة واسمه جلم:

تسفهوا حلماً عن طفلة رؤد حتى تغمها الكراز ذو الحلم
ما كان من جلم في معصد خلف مخرب بيت الغنى ومورث العدم

(صنعة ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، دمشق ١٩٦٨، قصيدة ٤٢).

(٣١) طبعاً هذا مخالف للاتجاه السائد في المصادر وهو أن هند التي ينسب إليها عمرو بن
المنذر هي ابنة ملك كنده المشهور الحارث بن عمرو وزوجة المنذر الثالث، لكن
المصادر هنا ليست مقنعة بتاتا (انظر الخاتمة).

من بين الشخصيات القبلية القليلة إلى يرد ذكرها في شعر طرفة، يبرز عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد بوصفه الأكثر حضوراً. فهو يستحوذ على قصيدتين من أصل أربع عشرة قصيدة يرويها الأصمعي لطرفة^(٣٣)، وفي هاتين القصيدتين يهجو الشاعر هجاء مرأً ويتهمه بإفشاء سره وبأنه يتتكر لأبناء عمومته، بينما هو سهل في معاملته للأبعاد. إنه في ضوء هذه العلاقة المتوترة بين الرجلين يفسر المؤرخون عادة مقتل طرفة، إذ يقولون إن عبد عمرو بن بشر هو الذي أخبر عمرو بن هند بأهاجي طرفة فيه فأوغر صدره عليه وانتهى الأمر إلى الإيعاز بقتله. وفي سياق هذه القصة نفسها يخبرنا المؤرخون أن عبد عمرو بن بشر كان متزوجاً من أخت طرفة، ونفهم منهم أيضاً أنه كان يحظى بمكانة خاصة لدى عمرو بن هند، وأنه بالتالي كان يتمتع بنفوذ واسع في أوساط بني قيس بن ثعلبة، وهذا ما ينص عليه ابن قتيبة حرقياً حين يصف عبد عمرو بن بشر بأنه كان سيد زمانه^(٣٤)، وهو أيضاً ما يتضمنه ابن حبيب حين يدرج اسم عبد عمرو بن بشر في قائمة "الأشراف العرجان"^(٣٥).

إن الإشارات المتعلقة مباشرة بعبد عمرو بن بشر محدودة للغاية، لكن لحسن الحظ توجد واحدة منها تفصح بوضوح عن الجيل الذي ينتمي إليه. فقد ورد ذكره بوصفه قائداً لإحدى الكتائب التي قاتلت الفرس في ذي قار^(٣٦)، أي بعد زمن يسير من إقصاء النعمان بن المنذر عن الحكم في سنة (٦٠٢/٦٠٤م). هذا يعني أن عبد عمرو بن بشر كان من رجال أواخر القرن السادس وأول السابع للميلاد، وهي حقيقة يمكن تعزيزها بأدلة ظرفية تتعلق مباشرة بأقرباء لعبد

(٣٢) هذا لا يتعارض مع الرواية التي تسند المسؤولية عن قتل طرفة إلى النعمان بن المنذر (حاشية ٦)؛ إن عمرو بن هند يمثل النعمان.

(٣٣) هما ٤ و ٨ في الديوان.

(٣٤) الشعر والشعراء، ص ٨٩س ٣

(٣٥) المحبر، ص ٣٠٤.

(٣٦) أغاني ج ٢٤ (تحقيق العزباوي ومطر بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٦٦.

عمرو، وبالتحديد جده عمرو بن مرثد، وابنه حمران، وجماعة من أبناء عمه الأذنين. فجده عمرو بن مرثد كان زعيماً قليلاً مرموقاً في عهد المنذر الثالث، جد النعمان. فقد أسند إليه المنذر، كما نفهم من الأنباري، مهمة جمع الإتاوة من قبائل ربيعة^(٣٧). وفي شعر طرفة يرد ذكره بطريقة تدل على سعة النفوذ الذي كان يتمتع به آنذاك، إذ يقول طرفة في معلقته (وربما كان قد أنشدها في بلاط الحيرة) إن ربه (ويعني به ملك الحيرة على الأرجح) لو شاء جعله في منزلة قيس بن خالد ذي الجدين أو في منزلة عمرو بن مرثد^(٣٨)، وهو هنا يشير إلى منزلة هذين الزعيمين كشيء من الماضي بالطبع^(٣٩). هذه المكان لعمرو بن مرثد في بلاط الحيرة ينبغي أن تعود في تاريخها إلى الجزء الأخير من عهد المنذر الثالث، بعد أن قضى اللخميون على نفوذ كندة في شرق الجزيرة العربية ووسطها واستقطبوا بالتالي قبائل بكر بن وائل إلى جانبهم، وتم ذلك في الثلاثينات من القرن السادس للميلاد^(٤٠). وهكذا إذا كانت زعامة عمرو بن مرثد قد انتعشت في أواسط القرن السادس، فطبيعي أن تكون زعامة حفيده عبد عمرو بن بشر بدأت في الظهور في أواخر ذلك القرن.

كذلك أخبار حمران، الابن الوحيد المشهور لعبد عمرو بن بشر، تؤكد ما

(٣٧) الأنباري (محمد بن القاسم ت ٣٢٨ هـ)، شرح المفضليات، تحقيق Lyall, C., Oxford 1921 ص ٢٢٢، س ١.

(٣٨)

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد

(الديوان، قصيدة ١، بيت ٨٠).

(٣٩) وذلك في مقابل الخبر الذي يذكر عادة في شرح هذا البيت، وهو أن عمرو بن مرثد حين سمع قول طرفة استدعاه فأمر أبناءه، وهم سبعة، أن يعطوه عشراً عشراً من الإبل، ثم أمر ثلاثة من أحفاده أن يعطوه كذلك، حتى حصل له مائة بعير (انظر السابق). ربما تكون هذه القصة غير صحيحة بالنظر إلى العداوة بين طرفة وعائلة مرثد. أما إن صححت، فإنه ليس دون مغزى أن يكون أبناء عمرو بن مرثد وأحفاده هم الذين أعطوا طرفة، وليس عمرو بن مرثد نفسه.

(٤٠) Olinder, G., "The King of Kinda", *Lunds Universitets Årsskrifts* (Nova series), band 23(1927), pp. 90ff.

سبق. فحمران ينتمي، كما هو واضح من تلك الأخبار، إلى جيل البعثة النبوية، أي إلى جيل العقدين الثاني والثالث من القرن السابع للميلاد. إنه هو شخصياً، على الرغم من كونه، كما نفهم من ابن حبيب، واحداً من شيوخ القبائل المتفذين في شرق الجزيرة العربية^(٤١)، ليس له اتصال مع النبي، وهو وضع طبيعي منذ أن كانت عائلة مرثد التي ينتمي إليها هي واحدة من أبرز العائلات المؤيدة للإمبراطورية الفارسية في البحرين؛ وقد تزعمت هذه العائلة ممثلة بشريح بن ضبيعة، الملقب بالحطم، حملة عسكرية واسعة النطاق لإنهاء النفوذ الإسلامي هناك وإعادة المنطقة إلى حظيرة الفرس^(٤٢). لكن مع ذلك، تكتسب الإشارات المتعلقة بشيوخ معاصرين لحمران مغزى خاصاً في صدد ما نحن فيه. فحمران له اسم في سجل أيام العرب، إذ يذكره مؤرخو الأيام في ثلاث مواجهاة كبيرة كلها حدثت مع تميميين^(٤٣)، ويبرز من قادة تميم فيها كل من قيس بن عاصم والأهثم سنان بن سمي وفدكي بن أعبد المنقريون: إن قيس بن عاصم كان من أبرز صحابة النبي (ص) في بني تميم^(٤٤)؛ والأهثم لم تكن له صحبة على ما يبدو، لكنه قاتل في يوم الكلاب الثاني^(٤٥)، وكان ذلك بعد مبعث النبي

(٤١) كان ممن أخذ المرباع في الجاهلية (المحبر، ص ٤٦٣).

(٤٢) انظر الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، de Goeje M.J. and others, Leiden 1879-1901 سلسلة ١، صص ١٩٦٠-١؛ وقارن البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق صلاح المنجد، القاهرة ١٩٥٦-٥٧، ص ١٠١س ١٧؛ ابن أعثم (أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ٣١٤ هـ)، (الفتوح)، حيدرآباد ١٩٦٨-٧٥، صص ٤٥-٧، ٤٨س ٩؛ الكساع البلنسي (أبو الربيع سليمان بن موسى ٦٣٤ هـ)، تاريخ الردة (مجتزأ من كتابه: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي المصطفى ومغازي الخلفاء)، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، نيودلهي ١٩٧٠، صص ١٢٥-٦.

(٤٣) وهي أيام جدود، والنباج وثيثل، والزويرين؛ انظر: نقانض جرير والفرزدق، تحقيق محمد ٦٢٠ هـ)، الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٥-٧، ج ١، صص ٦٠٤-٦.

(٤٤) عينه النبي (ص) على صدقات واحد من التجمعيين الرئيسيين داخل بني سعد التميميين، وهو "مقاسع والبطون" (أغاني، ج ١٤، ص ٧٦س ٢؛ الطبري، سلسلة ١، صص ١٩٠٨-٩).

(٤٥) النقانض، صص ١٤٩-١٥٥.

(ص)^(٤٦)؛ أما فدكي بن أعبد فقد ظهر ابنه مسعر ظهوراً واضحاً في أحداث الحرب الأهلية الأولى في الخلافة الإسلامية ولقي مصرعه بعد ذلك في معركة النهروان في سنة ٣٨ هـج (٦٥٨/٦٥٩)^(٤٧). أيضاً معلوماتنا عن بعض فرسان القبائل العاملين جنباً إلى جنب مع حمران في تلك المواجهات لها دلالتها هي الأخرى. فأشهر هؤلاء الفرسان هو الحارث بن شريك^(٤٨)، الملقب بالحوفزان، ووالد الحوفزان هذا، شريك بن عمرو، كان، كما نفهم من ابن الكلبي، قد كلفه النعمان بن المنذر قيادة القوة المنوط بها حفظ الأمن والنظام في مدينة الحيرة^(٤٩).

أيضاً ما نملكه من معلومات عن أبناء عم عبد عمرو بن بشر لحاً تشير إلى الاتجاه نفسه. فللشاعر الأعشى ميمون بن قيس، وهو، مثل طرفة وعبد عمرو، ينحدر من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، هجاء مقذع في أولاد شرحبيل بن عمرو ابن مرثد، وهو يخص بالذكر ضبيعة ووائل^(٥٠). طبعاً كان الأعشى من رجال أواخر القرن السادس وأوائل السابع للميلاد، وإذا صح خير وفادته على النبي بالمدينة^(٥١)، فإن حياته تكون قد امتدت إلى نهاية العشرينات من القرن السابع. ومهما يكن من أمر فإن معاصرة أبناء شرحبيل ابن عمرو بن مرثد للأعشى تعني في الوضع الطبيعي أن أبناء بشر بن عمرو بن مرثد، ومنهم عبد

(٤٦) كان يوم الصفقة من مقدمات يوم الكلاب الثاني، ويقول ابن الأثير: كان يوم الصفقة وقد بعث النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو بمكة بعد لم يهاجر (تاريخ، ج ١، ص ٦٢١س ٢٠).

(٤٧) الطبري، سلسلة ١ (الفهارس).

(٤٨) انظر أخباره في النقائض (الفهارس).

(٤٩) ولي شرطة المنذر والنعمان من بعده (أبو منذر هشام بن محمد بن السائب ت ٢٠٤ هـ، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، بيروت ١٩٨٦، ص ٥١٠ س ١٦).

اقتبس Kister, M.J. ("Al-hira: some notes on its relations with Arabia", Arabica xv (1968), p. 159, note 3) وانظر أيضاً الميداني، مجمع الأمثال، رقم ٣٦١ (ج ١، ص ١٢٣س ٢).

(٥٠) الديوان، تحقيق محمد محمد حسين، بيروت ١٩٨٣، قصيدة ٤٤.

(٥١) يأتي ذلك في سياق قصيدة منسوبة إليه في مدح النبي عليه السلام (السابق، قصيدة ٧١).

عمرو، كانوا هم أيضاً معاصرين له.

هناك زعيم قبلي آخر يظهر بوضوح في شعر طرفة، ومعلوماتنا عنه - مع أنها قليلة جداً - تشير أيضاً من غير شك إلى انتمائه إلى أواخر القرن السادس وأول السابع من التاريخ الميلادي. إنه قتادة بن مسلمة/سلمة الحنفي الذي يمدحه طرفة بقصيدة يرويها الأصمعي وتنتهي ببيت حاز على إعجاب البلاغيين على مر العصور^(٥١). كان قتادة، بالإضافة إلى نفوذه الواسع في منطقة اليمامة^(٥٢)، شاعراً هو الآخر، إذ يسجل له أبو تمام في حماسته قصيدة قصيرة نسبياً يتحدث فيها عن بعض حروبه مع بني تميم^(٥٤). هذه القصيدة مهمة في هذا السياق من حيث إنه يذكر فيها. "سراة آل مقاعس" بوصفهم قادة الجماعات التميمية المعادية^(٥٥)، إذ إن بني مقاعس كانوا مغمورين تماماً قبل أن يظهر فيهم قيس بن عاصم وفدكي بن أعبد والأهتم^(٥٦)، وهؤلاء نشطوا جميعاً، كما مر؛ قبل قليل، في العقود الأولى من القرن السابع للميلاد. إن هذا التحديد لهوية "آل مقاعس" في شعر قتادة يتفق مع رواية نادرة مدونة في كل من أمثال الميداني^(٥٧) ومعجم

(٥٢) فسقى بلادك غير مفسدها صوب الربيع وديممة تهمي

(الديوان، قصيدة ٧). ومناسبتها أن قوم طرفة؛ "أصابهم سنة فأتوا قتادة فأحسن عطيتهم".

(٥٣) يرد اسمه في قائمة الجرارين (ابن حبيب، المحبر، ص ٢٥٠).

(٥٤) المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ٢١؛ هج)، شرح ديوان

الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، بيروت ١٩٩١، قصيدة ٢٥٨.

(٥٥) قاتلتهم حتى تكافأ جمعهم والخيل في سبل الدماء تعوم

إذ تنقي بسراة آل مقاعس حذر الأسنة والسيوف تميم

(٥٦) كانت زعامة بني سعد من قبل في يد بني عوف بن كعب (قارن: ديوان

امريء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٨،

قصيدا: ١٩، ٧، ٢٠؛ Mecca and Tamim (Aspects of their

relations . *Journal of the Economic and social history of the Orient*, viii

(1965).PP 154f. Irsan Ramini, *The Tribe of Tamim and the origins of the*

early crisis in the Caliphate. Ph.D.thesis, Cambridge Un. 1989, p. 17f.

(٥٧) مجمع الأمثال، ج ٤، ص ٤ (اقرأ قتل فيه قيس بن عاصم قتادة بن سلمة الحنفي).

ياقوت^(٥٨) تخبرنا أن قتادة بن مسلمة لقي مصرعه يوم الستار على يد قيس بن عاصم المنقري. ودليل آخر على تعيين الفترة التي نشط فيها قتادة يمكن أن يلتصق في شعر للبيد بن ربيعة العامري يرثي فيه جماعة من بني عامر بن صعصعة قتلوا، كما يقول ابن منظور، في حرب مع قتادة بن مسلمة الحنفي^(٥٩)؛ ومعلوم أن ليبيداً كان من شعراء العقود الأولى من القرن السابع للميلاد وقد صحب النبي (ص) وعاش طويلاً بعده^(٦٠). إضافة إلى ما سبق، يرى الإخباريون في معرض حديثهم عن مطاردة ملك الحيرة للحارث بن ظالم المري^(٦١) أن هذا الأخير دخل مرة في جوار قتادة بن مسلمة؛ ونفهم منهم أيضاً في معرض حديثهم عن حرب داحس والغبراء أن قتادة بن مسلمة كان من بين الشيوخ الذين استجار بهم بنو عيس حين كان هؤلاء يطوفون بالقبائل بحثاً عن الحماية في أعقاب مقتل حذيفة بن بدر الفزاري في يوم الهباءة المشهور. إن الإشارة إلى هذه الأحداث تبدو مهمة هنا من حيث إنها جميعاً وقعت في عهد النعمان بن المنذر^(٦٢).

بالإضافة إلى عبد عمرو بن بشر وقاتادة بن مسلمة، يذكر طرفة بصورة عابرة أسماء زعماء قبليين آخرين معاصرين له كما هو واضح من سياق الشعر؛ وإذا صح تقديرنا بخصوص هويتهم، فإنهم هم الآخرون يكونون قد نشطوا عشية الإسلام. إن أسماءهم ترد في قصيدة نونية لطرفة بقي منها خمسة أبيات فقط^(٦٣)، وهي تجري على النحو التالي:

(٥٨) معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨ س ١٧-٢٠ (قارن ج ٢، ص ٨٩ س ١٠).

(٥٩) لسان العرب، مادة: سنر.

(٦٠) ديوان لبيد، تحقيق إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢، ص ١١.

(٦١) أخبار هذه المطاردة يرويها أبو الفرج في إسهاب شديد (أغاني) ج ١١، صص ٩٤-١٦٣.

(٦٢) أولاً، رواية مقتل الحارث بن ظالم في عهد النعمان هي رواية كل سن البصريين والكوفيين (أغاني ج ١١، ص ١٢٠ س ٣)، وثانياً، مقدمات حرب داحس والغبراء نشأت في بلاط النعمان، وفقاً لرواية نادرة لكنها صحيحة يذكرها البلاذري (أنساب الأشراف)، ج ٢ (مخطوط)، ص ١١٢٢ س ١٠-؛ وانظر (Ramini, *Origins of crisis*, pp. 19-20).

(٦٣) الديوان، قصيدة ٨٧.

أبلغ سراة بنى بكر مغلفة فجدع الله من أذانها اليمنى
 عنيت ثعلبة العجلي مألوفة عند الحوادث إذ ألى وإذ غبنا
 والمرء قيساً يرى نواحة بعثت تبكي لميت ولا تبكي به شجنا
 وهانئاً هانئاً في الحى مومسة ناطت سخاباً وناطت فوقه تكنا
 ما دافعوا فيرى فيهم مكانهم ولا سمعنا لها من ذكرها حسنا

لا يحاول محققا ديوان طرفة تحديد هوية "سراة بنى بكر" (ثعلبة وقيس وهانئ) المذكورين في هذه الأبيات، سوى أنهما يفسران "ثعلبة العجلي" بقولهما: "ثعلبة العجلي: بنو ثعلبة من أجداد طرفة"^(٦٤)؛ وهذا أيضاً ما يقوله على الجندي "ثعلبة العجلي: يقصد بنى ثعلبة وهو أحد أجداد طرفة"^(٦٥). لكن طرفة ليس من بنى عجل، ثم هو لا يومئ، كما يبدو، إلى عشائر، بل إلى أفراد بكر بن وائل. إن تاريخ هذه القبيلة كما وصل إلينا لا يعرف زعيماً مشهوراً باسم ثعلبة إلا ثعلبة بن سيار العجلي، المذكور في موطنين من قصيدة منتخبة من قصائد الشعر الجاهلي منسوبة إلى المفضل النكري، من عبد القيس^(٦٦). ويورد ابن دريد أحد هذين الوطنين، ثم يقول معلماً "يريد ثعلبة بن سيار.... وهو صاحب قبة ذي قار"^(٦٧). إذا صح ذلك فمن المرجح جداً أن يكون قيس وهانئ المذكورين هنا في شعر طرفة هما قيس بن مسعود الشيباني، أشهر زعيم بكرى على الإطلاق في عصره، وهانئ بن قبيصة الشيباني، ولكليهما - كما هو حال ثعلبة بن سيار - علاقة وثيقة بيوم ذي قار؛ هذا اليوم يعود تاريخه، كما نعرف، إلى ما بعد إقصاء النعمان بن المنذر عن عرش الحيرة في عام ٦٠٢/٦٠٤ م.

(٦٤) السابق، ص ١٩٨ حاشية ٢.

(٦٥) ديوان طرفة، بيت ٧، ٩ (ص ٢٣٢).

(٦٦) الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب ٢١٦ هـ)، (الأصمعيات)، تحقيق أحمد

محمد شاكر و عبد السلام هارون، بيروت ١٩٦٣، قصيدة ٩٦، البيتان ١٨، ٣٤.

(٦٧) جمهرة اللغة، حيدرآباد ١٣٤٥ هـ، ج ٣، ص ٥٠٣. ويسميه ابن حزم "ثعلبة بن

حنظلة بن سيار" (جمهرة أنساب العرب، ص ٣١٢)، ولعل هذا يفسر تسمية صاحب قبة

ذي قار في بعض المصادر بـ "حنظلة بن سيار".

ليس فقط سجل الشخصيات القبلية في شعر طرفة هو الذي يبين أن الشاعر ينتمي إلى أواخر القرن السادس للميلاد، بل أيضاً يتضمن شعره أدلة أخرى على ذلك، وبالتحديد في قصيدتين: الأولى رائية موجهة إلى "عمرو ابن هند"، وفيها تحريض على الأخذ بثأر أمير لخمى يكنى "أبا حسان"^(٦٨)؛ والثانية قصيدته الضادية التي يهاجم فيها الحيرة وبعض حلفائها من القبائل^(٦٩). في حديثهم عن مناسبة القصيدة الأولى، يقول شراح شعره إن أبا حسان المذكور فيها هو عمرو بن أمامة، وهو أخ غير شقيق لعمرو بن هند، وإنه كان قد وقع بينه وبين هذا الأخير خلاف على السلطة في الحيرة، بحيث انتهى به الأمر إلى أن ذهب إلى اليمن واستعان بملكها الحميري، فأرسل هذا معه جماعة من مراد عليهم هبيرة بن عبد يغوث، الملقب بالمكشوح. لكن المراديين، كما يقول الشراح، ثاروا به وهم في الطريق إلى العراق وقتلوه في واد يقال له قضيب من أرض قيس عيلان، فقال طرفة هذه القصيدة يرثيه ويحرض عمرو بن هند على الأخذ بثأره^(٧٠). وكان طرفة حين رافق عمرو بن أمامة في رحلته تلك إلى اليمن، كما تقول القصة، قد أودع ماله عند عمرو بن قيس بن عامر الشيباني، الملقب بالأصم^(٧١).

مهما يكن من أمر الاضطراب الظاهر حتى في الخط العريض لقصة مناسبة القصيدة كما هو مبين أعلاه^(٧٢)، فإن القصة بشخصياتها المسماة فيها،

(٦٨) الديوان، قصيدة ٤١.

(٦٩) الديوان، قصيدة ٥٦.

(٧٠) القصة في أكثر صورها تفصيلاً يرويها الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم ٣٢٨هـ ج)، شرح القصائد السبع الطوال، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٩، صص ١١٧-٢١؛ وانظر أيضاً: المرزباني، (معجم الشعراء)، ص ١٢؛ ياقوت، معجم البلدان، مادتا: قضيب، مرجح.

(٧١) السابق.

(٧٢) انتهى الحكم الحميري في اليمن في أوائل العشرينات من القرن السادس للميلاد، وحين عاد الحميريون إلى الحكم لفترة قصيرة نسبياً، بعد طرد الأحباش في أواسط السبعينات من ذلك القرن، كانوا يعملون تحت وصاية الفرس، وبالتالي لم يكونوا ليؤيدوا ثورة ضد الحيرة.

وبالتحديد هبيرة بن عبد يغوث المرادي وعمرو بن قيس الشيباني، لا تتفق زمنياً مع فترة عمرو بن المنذر الثالث، بل مع فترة النعمان بن المنذر. فهبيرة المكشوح، الذي تدعي القصة أنه قتل عمرو بن أمامة، يرد ذكره في أخبار يظهر منها أنه كان على صلة وطيدة بيزيد بن عبد المدان الحارثي^(٧٣). إن يزيد هذا، بالإضافة إلى أنه من ممدوحى الأعشى ميمون بن قيس^(٧٤)، كان من قادة الجيش اليمني في يوم الكلاب الثاني، الذي وقع في العقد الثاني من القرن السابع للميلاد، وفي بعض الروايات أنه قتل في ذلك اليوم^(٧٥)، لكن كتب الصحابة تذكره بين أعضاء وفد نجران إلى النبي (ص)^(٧٦). أيضاً كان المكشوح متزوجاً من أخت لعمر بن معدي كرب الزبيدي^(٧٧)، وهذا الأخير أدرك النبي وشهد فتح الشام والعراق^(٧٨). ودليل آخر على الجيل الذي ينتمي إليه هبيرة هو أن ابنه قيس بن المكشوح، وكان سيداً مرموقاً جداً، نشط في عصر النبي وخلافة الراشدين. فقد كان من زعماء أهل اليمن الذين أعلنوا ولاءهم للنبي ثم ارتدوا، لكنه ثاب إلى الإسلام، وشارك بعد ذلك في عمليات الفتح في كل من العراق والشام، واستقر به المقام في الكوفة، ثم شهد صفين مع علي بن أبي طالب وقُتل في المعركة في سنة ٣٧ هـ (٦٥٧/٦٥٨ م)^(٧٩).

(٧٣) انظر الأغاني، ج ١٢، ص ٥٠ - (في بعض المواطن يتغير الاسم إلى قيس بن المكشوح، وهو تصحيف كما يبدو أو تداخل في الرواية (قارن ما سيأتي).

(٧٤) الديوان، قصائد: ٢٢: ٢٧، ٣٢: ٤٧، ٤٢.

(٧٥) أغاني، ج ١٦، صص ٢٢٩ - وتذكر له المصادر أيضاً مجموعة من الأخبار مع معاصرين للنبي (ص)، مثل: دريد بن الصمة، وعامر بن الطفيل، وقيس بن عاصم (المصدر نفسه، ج ١٠، صص ٢٥-٩، ج ١٢، صص ٩-٠، على التوالي).

(٧٦) ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ٨٥٢ هـ - ج)، (الإصابة في تمييز الصحابة)، القاهرة ١٩٠٧، ج ٦، ص ٢٤٥.

(٧٧) خزائن الأدب، ج ١٠، ص ٢١٠.

(٧٨) انظر أخباره في الأغاني، ج ١٥، صص ٢٠٨.

(٧٩) لمزيد من التفاصيل حول هذه النشاطات، انظر الطبري (الفهارس).

أيضاً تشير الأخبار الخاصة بعمر بن قيس الشيباني^(٨٠)، الذي يقال إن طرفه استودعه ماله، إلى أنه بالفعل كان، كما تتضمن القصة، معاصراً لهبيرة بن عبد يغوث. فهو من جانب، له ذكر في أراجيز الأغلب العجلي (الشاعر المخضرم)^(٨١)، ومن جانب آخر، تسجل له روايات أيام العرب نشاطات تعود في تاريخها إلى زمن البعثة النبوية^(٨٢)، ومن جانب ثالث، ظهر ابنه مفروق بن عمرو على مسرح الأحداث عشية حركة الفتح الإسلامي^(٨٣)، وكان واحداً من الشيوخ البكرين الذين قاوموا نفوذ المدينة في شرق الجزيرة العربية^(٨٤).

أما قصيدة طرفه الثانية فهي تحتوي على دليل من نوع مختلف، لكنه لا يقل أهمية عما سبق. فهذه القصيدة، كما مرّ قبل قليل، تتأجج ثورة على الحيرة وعلى الجماعات القبلية المتحالفة معها في هجر، وفي خضم هذه الثورة يحذر طرفه "أهل المشقر والصفاء" من انتقام قومه ويسميه "عبيد أسيد"^(٨٥):

خذوا حذرکم أهل المشقر والصفاء عبيد أسيد والقرض يجزي من القرض

(٨٠) له ترجمة في: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣٨؛ الأمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر ٣٧٠هـ)، المؤلف والمختلف، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة ١٩٦١، صص ٥١-٢.

(٨١) انظر: (النقائض) (راجع الفهرس): ابن الأثير: تاريخ، ج ١، صص ٦٠٤-٦٠٦ (لاحظ أسماء بعض الشيوخ المذكورين في هذه النشاطات: حمران بن عبد عمرو، والحوفزان بن شريك، والأعشى).

(٨٢) ابن الأثير تاريخ، ج ١، ص ٦٠٥؛ قارن النقائض، ص ٢٤٥.

(٨٣) السابق، ج ١، صص ٦١٢-٣ (خبر يوم الإياد).

(٨٤) الطبري، سلسلة ١، ص ١٩٧٣.

(٨٥) رواية "بني عمنا" محاولة واضحة لتغطية ما توهمته بعض الدوائر من أن طرفه يشير إلى عقيدة وثنية (انظر ما سيأتي)؛ على الأقل، "بني عمنا" لا تتفق مع السياق، وبيّنت ابن الجواليقي رواية "عبيد أسيد"، ويشير إلى رواية أخرى هي "عبيد العصا"، لكنه لا يشير إلى "بني عمنا" (موهوب بن أحمد ٥٤٠هـ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، طهران ١٩٦٦، ص ٣٩). من جانب آخر، يغفل درية الخطيب/لطفى الصقال أن يشير في التحقيق إلى رواية "عبيد أسيد"، مع أن الجندي يشير إليها في تحقيقه للبيت.

تختلف المصادر في تفسير كلمة "أسبذ" الواردة في البيت: فرأي يذهب إلى أن أصلها "أسب" ثم زيدت الذال تعريباً، وهي كلمة فارسية معناها الفرس أو البرذون، والمراد هنا قوم من أهل البحرين كانوا يعبدون الخيل؛ ورأي ثان يفيد أن "أسبذ" قرية، ثم ينقسم أصحاب هذا الرأي إلى فريق يقول إنها قرية في البحرين وفريق آخر يجعلها قرية في عمان^(٨٦)؛ ورأي ثالث يمثلّه أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة وتفهم منه أن "أسبذ" هو اسم لقائد من قواد كسرى على البحرين وأن أفراد المسلحة الفارسية التابعة له، ومقرها المشقر، كانوا يسمون الأسابذ^(٨٧). من الواضح أن الرأي الأول في "عبيد أسبذ" يحاول تفسير العبارة تفسيراً معجبياً كما هي في أصل اللغتين الفارسية والعربية، لكنه في الوقت نفسه يفتر إلى رؤية تاريخية محددة وأيضاً يغفل حقيقة أن طرفة يخاطب هنا العناصر العربية المتحالفة مع الحيرة في البحرين ولا يوجد ما يشير إلى أن هذه العناصر كانت تعبد الخيول أو البراذين. أما الرأي الثاني فإنه لا يقيم وزناً للارتباط في بيت طرفة بين "عبيد أسبذ" من ناحية والمشقر والصفاء من ناحية ثانية، وهو ارتباط ظهر مرة أخرى في شعر منسوب إلى مالك بن نويرة اليربوعي (صحابي)^(٨٨). إن الرأي الثالث، في المقابل، يبدو معقولاً ومقنعاً تماماً، ثم هو

(٨٦) بخصوص الرأيين، انظر ياقوت، معجم البلدان، مادة: أسبذ.

(٨٧) "وأسبذ: قال أبو عبيدة اسم قائد من قواد كسرى على البحرين" (الجواليقي، المعرب، ص ٣٩)؛ قال أبو عمرو: الأسابذ قوم من الفرس كانوا مسلحة المشقر* (السابق، ص ٤٠)؛ أسبذ اسم ملك كان من الفرس ملكه كسرى على البحرين فاستعبدهم وأذلهم، وإنما اسمه في الفارسية أسبيدويه، يريد الأبيض الوجه، فعربته طرفة* (ياقوت، ومعجم البلدان، مادة: أسبذ (رواية أبي عمرو الشيباني)).

(٨٨)

أرى كل بكر ثم غير أبيكم وخالفتمو حجنا من اللوم حيدرا
أبى أن يريم الدهر وسط بيوتكم كما لا يريم الأسبذي المشقرا

(ياقوت، معجم البلدان، مادة: أسبذ) على أية حال، لا يتناقض هذا الرأي بالضرورة مع ما يقوله أبو عمرو وأبو عبيدة، إذ ربما أسس هؤلاء الأسابذ فيما بعد قرية سميت باسمهم.

معزز أيضاً. فبالإضافة إلى أن له تمثيلاً في كل من البصرة والكوفة، فإنه يجد ما يؤيده في حديث مرفوع إلى ابن عباس يفيد أن الأسابذ هم قوم من مجوس البحرين، وأن مندوباً عنهم قدم إلى المدينة للتفاوض مع النبي حول طبيعة العلاقة التي ستربطهم بالمسلمين^(٨٩). إن هذا يتفق مع الخط العريض لتاريخ المنطقة آنذاك، فقد انقسم حكام البحرين الفرس بين مؤيد للنبي (ص) ومعارض له، معبرين بذلك عن تأثرهم بحالة نزاع شديد على السلطة عصفت بالبلاط الفارسي في أعقاب اغتيال كسرى أبرويز في سنة ٦٢٨م^(٩٠). الآن، إذا كان طرفه يشير في البيت السابق إلى قائد المسلحة الفارسية المرابطة بالمشقر، فلا بد أن يكون قد نظم قصيدته تلك بعد تولي كسرى أبرويز السلطة في فارس في سنة ٥٩١م. ذلك أن أبرويز هذا قبل أن يقصي اللخميين عن الحكم في الحيرة ويضع المدينة تحت رقابة فارسية مباشرة في مطلع القرن السابع للميلاد كان قد اتخذ هذا الإجراء نفسه في المشقر التي كانت حتى ذلك الوقت تحكمها كندة لصالح الفرس^(٩١).

إذن، تشير كل الأدلة الممكنة في شعر طرفه بن العبد إلى أن هذا الشاعر ينتمي، في حقيقة الأمر، إلى عصر النعمان بن المنذر، ومن ثم تؤكد أن عمرو بن هند المذكور في شعره والمسؤول، حسب المصادر، عن مقتله إنما هو عمرو بن المنذر الرابع، وليس عمرو بن المنذر الثالث. بقي أن نقول إن المعلومات المتعلقة بطرفة من خارج شعره تكاد تنحصر في قصة مقتله، وهي قصة يختلف الإخباريون في بعض تفاصيلها، بالإضافة إلى ما يعترها من عناصر القصص الشعبي. لا توجد بين أيدينا وسائل علمية يمكن بها أن نفحص

(٨٩) يقول ابن عباس "جاء رجل من الأسبديين من أهل البحرين، وهم مجوس أهل هجر، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكث عنده ثم خرج، فسأله: ما قضى الله ورسوله فيكم؟ قال: شرا! قلت: مه؟ قال: الإسلام أو القتل." (البيهقي) (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ)، (السنن الكبرى، حيدر أباد ١٣٤٤-١٣٥٦هـ، ج ٩، ص ١٩٠).

(٩٠) Frye, R.N. "The Political history of Iran under the Sasanians". *The Cambridge history of Iran*, Cambridge 1983, 3/1, pp. 170-1.

(٩١) انظر عرسان الراميني، "حلقة مفقودة في تاريخ مملكة كندة" (يتوقع نشره في وقائع المؤتمر العلمي الثاني لجامعة صلاح الدين، أربيل، العراق).

هذه القصة، لكن تجدر الإشارة إلى أنها لا تحتوي على معلومات تتعارض مع نتيجة هذا البحث. في الواقع، تبدو بعض التفاصيل مساعدة تماماً. فالرواة، مثلاً، يختلفون في تسمية من يصفونه بأنه عامل عمرو بن هند على البحرين، أي الذي قيل إنه تسلم صحيفة طرفة ونفذ أوامر الملك، وهم يذكرون هنا أسماء ثلاثة من العرب وفارسي واحد هو فروز/فيروز بن جشنس/جشيش، الملقب بالمكعبير. إن المصادر لا تساعد في التعرف على أي من الشخصيات العربية الثلاث^(٩٢)، أما المكعبير فقد برز اسمه في بعض الأحداث المهمة في شرق الجزيرة، وهذه الأحداث وقعت في زمن البعثة النبوية، وهي تحديداً يوم الصفينة المشهور^(٩٣) وحرب الردة^(٩٤). على أن قصة مقتل طرفة في البحرين ربما تكون برمتها غير صحيحة، على الرغم من أنها تمثل الرأي السائد في المصادر. فابن خلكان يخبرنا في رواية فريدة أن عمرو بن هند بعث طرفة والمتلمس بالصحيفة إلى الحيرة، وليس إلى البحرين^(٩٥). أي أنه بعثهما إلى صاحب سلطة أعلى يقيم بالحيرة، وهو في هذه الحالة ينبغي أن يكون النعمان بن المنذر. وهكذا يبدو أن لدينا أساساً كافياً للاعتقاد بأن قصة نهاية حياة طرفة تعني أن الشاعر لم يمت قبل نهاية القرن السادس للميلاد.

(٩٢) فقط المعلّى بن حنشل من بين هؤلاء يمكن أن يكون له صلة بالجارود العبدي، الصحابي المشهور. فابن حزم يذكر أن اسم الجارود هو أبو غياث بن حنشل بن المعلّى (جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٦)؛ ويذكر ابن دريد في (الاشتقاق) (ص ٣٠٦) أن اسم الجارود هو بشر بن المعلّى؛ لكنه يذكر في (جمهرة اللغة) (ج ٢، ص ٨٥) أن اسمه بشر بن عمرو بن المعلّى.

(٩٣) الطبري، سلسلة ١، صص ٩٨٤-٨.

(٩٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٠٣. وقد ظهر المكعبير أيضاً في أحداث فتح فارس بعد ذلك ببضع سنوات (الطبري، سلسلة ١، ص ٢٦٩٩).

(٩٥) ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨-٧٢، ج ٦، صص ٩٢-٣.

خاتمة

إن غالبية الشعراء الجاهليين المشهورين يشتركون مع طرفة بن العبد في أن لهم أخباراً مع كل من عمرو بن هند والنعمان بن المنذر، وهي أخبار تؤكدها الأشعار المنسوبة إليهم. على أن الفرق بينه وبينهم هو أن حياته انتهت على يد عمرو بن هند؛ ولما كان الإخباريون قد اعتقدوا أن هذا الأخير هو ابن المنذر الثالث، أصبح من الصعب على الدارسين أن يقتنعوا بصحة الإشارات القليلة الخاصة بصلة طرفة بالنعمان، فرفضوها أو أهملوها تماماً. حتى جامعو شعر طرفة من القدماء أسقطوا لهذا السبب كما يظهر تلك الأشعار التي يذكر فيها طرفة النعمان بن المنذر، مع أن بعضها يبدو حقيقياً جداً، في الأقل لأنه يحوي تفاصيل قبلية بزخم لا نجده في أي موطن آخر في ديوانه. أما الشعراء الآخرون فسجلاتهم تخلو من أية إشارة مباشرة تحول دون قبول ما يروى عن علاقتهم بكلتا الشخصيتين اللخمييتين. لذا كان من الطبيعي أن يؤدي هذا الوضع إلى ظهور تصورات غير دقيقة، ليس فقط على صعيد الارتباط السياسي للشعر الجاهلي، بل أيضاً على صعيد تحديد الأطر الزمنية لحيوات الشعراء ذوي العلاقة؛ لقد دخلت أسماؤهم جميعاً إلى قائمة "المعمريين"، أي الذين جاوزت أعمارهم التسعين عاماً. إن هذا، مرة أخرى، مبرر تماماً: فالشاعر الذي استطاع أن يحقق شهرة أدبية واسعة وكذلك نفوذاً قبلياً كبيراً، بحيث يكون في موقع يؤهله للاتصال ببلاط عمرو بن المنذر الثالث في الخمسينات من القرن السادس للميلاد، فمن المتوقع أن يكون قد ولد في أوائل ذلك القرن إن لم يكن قبل ذلك؛ وما دام قد عاصر أيضاً النعمان بن المنذر، الذي انتهت حياته قسراً في بداية القرن السابع، فمن البديهي إذن أن يوصف شاعر من هذا القبيل بأنه من "المعمريين"، أو من "الذين طعنوا في السن". فالحارث بن حلزة "كان من المعمريين"، وأيضاً "عمرو بن كلثوم من المعمريين، ولعله أوفى على المئة"، وزهير بن أبي سلمى "عمر طويلاً"، وعلقمة بن عبدة "عاش حتى عاصر النعمان أبا قابوس وعمّر بعد ذلك طويلاً" وكذلك عنتر "عمر طويلاً"، والمتملمس "عاش حتى أسن"، وبشر بن أبي خازم قتل "بعد أن أسن كثيراً فيما يبدو"، والنابغة الذبيساني "قد

أسن جداً"، وعبد قيس بن خفاف البرجمي "عاش، حتى طعن في السن" (٩٦).

ومع ذلك لم يكن ممكناً، على الأقل من الناحية الفنية، أن نوظف أي واحد من هؤلاء الشعراء كما وظفنا طرفة، في الوصول إلى ما وصلنا إليه، لأنه من السهل على بعض القراء أن يعترضوا قائلين: إن كون نشاطاتهم المدونة تعود عموماً إلى آخر القرن السادس وأوائل السابع للميلاد لا يشكل أساساً كافياً للاعتقاد بأن عمرو بن هند في أشعارهم هو بالضرورة عمرو بن المنذر الرابع، إذ ربما كانوا أيضاً قد عاصروا عمرو بن المنذر الثالث لكن ذاكرة الرواة لم تحتفظ لهم بنشاطات تعود إلى تلك الفترة. في حالة طرفة، في المقابل، لن ينشأ اعتراض من هذا القبيل؛ إذ تتفق المصادر على أنه مات شاباً، ولما كانت كل الأدلة تشير إلى أنه كان ينتمي إلى جيل ما قبل البعثة، فمن غير المعقول أن يكون قد عاصر عمرو بن المنذر الثالث أيضاً.

في الواقع، قد يتساءل المرء عما إذا كان عمرو بن المنذر الثالث قد لقبه الناس بابن هند قط. صحيح أن أمه هي هند بنت ملك كندة المشهور الحارث بن عمرو بن حجر أكل المرار، وهذا ما جعل الإخباريين يظنون أنه هو المقصود حينما ورد اسم "عمرو بن هند" أو "ابن هند" في النقولات التاريخية أو الأدبية في سياق لخمى. لكن بعض القرانن تحمل المرء على الشك حقاً فيما يقال من أنه كان يعزى إلى أمه. فعلى النقيض، مثلاً، من ملك كندة يزيد بن عمرو / شراحيل، الذي ظهر في نقوش شبه الجزيرة العربية ملقباً بابن كبشة^(٩٧)، فإن عمرو بن

(٩٦) هذه الأقوال أو ما في معناها نجدها عادة حينما جرى الحديث عن حياة هؤلاء الشعراء، لكنها في نصها المقتبس هنا مأخوذة من عمر فروخ (تاريخ الأدب العربي، ج ١، صص ١٥٢، ١٤٢، ١٩٥، ٢١٤، ٢٠٨، ١٥٧، ١٦٣، ١٧٩، ١٩٣) على التوالي؛ وانظر أيضاً ترجمات هؤلاء الشعراء في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري.

(٩٧) Glasser, E., "Zwie Inschriften über den Dammbbruch von Marib" Ein Beitrag zur Geschichte Arabiens im 5. u. 6. Jahrhundert nach Chr *Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft*, ii (1897), p. 390. Campaign of Huluban: a new Light on the expedition of Abrahā". *Le Muséon (Revue D'études Orientales Tijdschrift Voor Orientalisme)*, 78 (1965), pp. 434-5. Ramini, *Origins of Crisis*, pp. 15-6.

المنذر الثالث ظهر في هذه النقوش منسوباً إلى أبيه المنذر وليس إلى أمه، هند^(٩٨). أيضاً من المستبعد أن يكون اللقب صادراً عن خصومه، وذلك علي سبيل الذم والتحقير. فأمه، هند، كانت سليلة ملوك ونسبته إليها لم تكن ممن ثم لتحقق أغراضاً من هذا القبيل. حتى في غياب هذا المنطق، فإن علاقة الحيرة بالقبائل العربية في عهده، وبالتالي بالشعراء العرب، كانت وطيدة جداً^(٩٩)، بحيث لم يكن يمكن للقب كهذا مقصود به التعريض أن يظهر في الشعر وينتشر. لكن لقب "ابن هند": أولاً، يستعمله الشعراء الجاهليون عادة للتشهير بعمر بن المنذر، وهم ثانياً يعبرون به عن سخطهم الشديد على الحيرة. إن هذا الوضع يتفق في شقه الأول مع الجانب غير الوقور في قصة هند بنت الأسود الكلبية، الأم المحتملة لعمر بن المنذر الرابع، ويتفق في شقه الثاني مع حالة الاضطراب الواضح في علاقة القبائل بالحيرة في الجزء الأخير من حكم النعمان بن المنذر.

إن هذا البحث لم يهدف إلى مناقشة "عمر بن هند" في غير شعر طرفة، لكن صورته في شعره لها الملامح ذاتها في شعر سائر الشعراء الجاهليين، وعلينا أن نعيش هذا الهاجس حتى تظهر دراسة مستقلة تؤكد أن "عمر بن هند"، حيثما ورد في الشعر الجاهلي، هو عمر بن المنذر الرابع.

(٩٨) ظهر اسم عمرو بن المنذر الثالث في موطنين في النقوش: الأول، في صدر هيكل هند الكبرى، ويخبرنا عنه البكري، ونصه: بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر، الملكة أم الأملاك، وأم الملك عمرو بن المنذر، أمة المسيح، وأم عبده، وأمة عبده، في زمن ملك الأملاك خسرو أنوشروان.... (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ٤٨٧هـ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٦٧-، ص ٦٠٦)؛ والثاني في نقش يمني يسجل حملة حربية قام بها أبرهة في وسط الجزيرة في سنة ٥٤٧/٥٥٢م واصطدم هناك بجيش لخمى يقوده عمرو بن المنذر مندوباً عن أبيه المنذر الثالث (Ryckmans, G., "inscriptions Sud-Arabes", *LeMuséon*, 66 (1935), P. 275. Beeston, A. F.L., "Notes on the Murcighan Inscription", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 26 (1954), P. 437.

(٩٩) انظر الفصل المعقود بعنوان "Links with the Lakhmids" في Ramini, *Origins of* -crisis pp. 29-60.